

# جعونيو عورتا

The Gebonites of Awarta

Rendered from Hebrew

Haseeb Shehadeh

The University of Helsinki

هذه القصة رواها بالعبرية الكاهن الأكبر، يعقوب بن عزي المعروف بابي شفيق، (١٩٨٧-١٩٩٩)، كاهن أكبر منذ عام ١٩٨٤ وحتى وفاته) على مسامع بنiamيم راضي صدقة (١٩٤٤) الحولوني، الذي سجلها، صاغها من جديد ونقحها. أبو شفيق من أشهر الشخصيات السامرية في العصر الحديث، كاتب وصحفي، له عدة كتب ما زالت مخطوطة مثل كتاب السامريين، وصيتي وتاريخ حياتي؛ كنت قد تعرّفت عليه في بداية سبعينيات القرن الماضي في مكتبه في نابلس، واستفدت من علمه في إعداد أطروحتي للدكتوراة في حينه بإشراف الأستاذ زئيف بن حاييم (٢٠١٣-١٩٠٧).

في ما يلي ترجمة عربية لهذه القصة المنشورة في الدورية السامرية أ. ب. -أخبار السamerة، العددان ١٢١٨-١٢١٧، ١٠ حزيران ٢٠١٦، ص. ١٦-١٩. هذه الدورية التي تصدر مرتبة شهرياً في مدينة حولون جنوب تل أبيب، فريدة من نوعها: إنها تستعمل أربع لغات بأربعة خطوط أو أربع أبجديات: العربية أو الآرامية السامرية بالخط العبري القديم، المعروف اليوم بالحروف السامرية؛ العربية الحديثة بالخط المربع/الأشوري، أي الخط العربي الحالي؛ العربية بالرسم العربي؛ الإنجليزية (أحياناً لغات أخرى مثل الفرنسية والألمانية والإسبانية) بالخط اللاتيني.

بدأت هذه الدورية السامرية في الصدور منذ أواخر العام ١٩٦٩ وما زالت تصدر بانتظام، تُوزَّع مجاناً على كل بيت سامي في نابلس وحولون، قربة الثمانمائة سامي، وهناك مشترين فيها من الباحثين والمهتمين في الدراسات السامرية، في شتى أرجاء العالم. هذه الدورية ما زالت حية ترزق، لا بل وتنتطور بفضل إخلاص ومثابرة الشقيقين بنiamيم (الأمين) ويفت (حسني)، نجلي المرحوم راضي (رسون) صدقة (٢٢ شباط ١٩٢٢-٢٠ كانون الثاني ١٩٩٠).

نعم يا بنiamيم، يا ابني، أنت تقصّ على حكاياتِ قصّها عليك بعض آباء الطائفة حول عجائب قرية عورتا وقبر الكاهن الأكبر، العزار بن أهرون، ابن شقيق سيد الأنبياء، موسى عليه السلام. نعم، حكايات حيث الخيال فيها يطغى على الواقع. لا، لا، لا سمح الله، لست بصدق ازدراء ما قصوا عليك، لأنّ موقع قبر العزار في عورتا رائع وعجائب كثيرة حصلت فيه. منها ما سمعته من والدي، وجدي الذي رباني بنفسه، الجد الكبير، يعقوب بن أهرون رحمة الله عليه. في الواقع لا أشكُ في قصصهم، حول ما شاهدوا هم أو آباؤهم في ذلك المكان.

على سبيل المثال، هناك قصة عن ذلك القروي الذي تواجد في المكان وحمل حماره بأكياس مملوءة بورق العنبر سرقها منأشجار الكرمة، التي نبتت في موقع القبر. عندما وصل بيته، وأنزل الحمولة المسروقة عن حماره، اكتشف لدهشت الشديدة ولقلقه المتفاقم، أن كلّ ما سُرق من هناك قد ذُوّد لدرجة عدم صلاحيته للطعام، بالرغم من أنه قبل قليل، كانت الأوراق طازجة غضة.

هذه قصة قصيرة عن من يمدّ يده ليختلس، ونهايته تكون لعنة عمله حاليه. قد قال سيد الشعراء، مرقة، في قصيده “أنظر إلينا” [أنظر زئيف بن حاييم، عبرية وأرامية السامرية، مج. ٣، سفر ثان، القدس ١٩٦٧، ص. ١٣٣] في الأصل بالعبرية] التي لا نظير لها، وقيل الخزي لا يعرف إلى أين يسير، حتى يعود ويحلّ بفاعله. لا ترتاح الخطيبة حتى تعود وتضرب الخاطئ نفسه. أعلى أن أثبت لك، بناء على أمور تحدث لنا في الوقت الراهن؟ أئمة

حاجة تقضي بأن أشير إليك عن هذا الشخص أو ذاك، حيث أنّ أفعاله المنحرفة في الماضي، تعود الآن وتضر بهم، وبصورة شديدة لحد بعيد.

ولكن، لا أُؤمن برأيٍ شكل من الأشكال، بعجائبٍ أخرى من الماضي القريب، كنت قد سمعت عنها وكأنّها جرت في عورتنا. وعلاوة على ذلك، شهد الراوون بأنّني كنت حاضرًا عند حدوث بعض تلك العجائب. مثال على ذلك، تلك القصة التي قصّوها عليك حول صينية المجددة (عدس وأرز)، التي أشبعـت خمسين ألف مواطنـي القرية العربية عورتا، الذين انقضـوا عليها في موقع القبر، بدل الانقضاض على السامريـن، الذين حضروا لزيارة المكان. كنتُ هناك. عدد سـكـان عورـتا اليـوم أقلـ من خـمسـة أـلـافـ؛ لم يكن هـنـاك خـمـسـون أـلـفـ، بل خـمـسـة أـشـخـاصـ سـبـبـوا لـنا إـزعـاجـاـ في زـيـارـتـناـ. عـنـدـماـ يـعـلـمـ الـخـيـالـ الشـرـقـيـ، فـلاـ حدـ لـخـيـالـ القـاسـيـنـ الـجـنـجـ.

## ختـمـ التـورـةـ وـخطـبـةـ فـيـ عـورـتـاـ

ما أودّ أن أقصـهـ عـلـيـكـ هيـ قـصـةـ حـقـيقـيـةـ. قـصـةـ لـيـ فـيـهـ شـخـصـيـ ضـلـعـ، وـهـيـ تـدورـ حـوـلـ مـضـايـقـةـ أـهـالـيـ عـورـتـاـ لـنـاـ فـيـ مـوـقـعـ قـبـرـ إـلـعـازـارـ، وـكـيـفـ نـجـوـنـاـ مـنـهـ بـفـضـلـ صـمـودـنـاـ وـحـيـلـتـنـاـ. مـثـلـ هـذـهـ مـضـايـقـةـ لـمـ تـكـنـ أـمـرـاـ نـادـرـاـ. فـيـ كـلـ زـيـارـةـ تـقـرـيـبـاـ، كـانـ شـيـابـ الـقـرـيـةـ وـفـتـيـانـهـ، يـتـجـمـعـونـ حـوـلـ حـفـنـةـ مـنـ الزـوـارـ السـامـرـيـنـ، وـيـحـاـولـونـ التـحـرـشـ بـهـمـ وـالـاعـتـدـاءـ عـلـيـهـمـ. كـلـ هـذـاـ لـمـ يـرـدـعـ السـامـرـيـنـ مـنـ الـعـودـةـ لـزـيـارـةـ الـمـاـكـانـ، لـاـ سـيـّـمـاـ فـيـ المـدـدـ الـوـاقـعـةـ بـيـنـ الـفـسـحـ وـأـيـامـ مـاـ بـعـدـ أـلـأسـابـيعـ. كـانـ السـامـرـيـنـ يـحـضـرـونـ مـعـهـمـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـأـكـلـ وـالـمـشـرـبـ، يـجـلـسـونـ فـيـ مـوـقـعـ الـقـبـرـ حـيـثـ النـسـيمـ الـعـلـيلـ الـمـنـعـشـ.

هـنـاكـ جـلـسـنـاـ نـحـنـ أـيـضـاـ، وـأـمـضـيـنـاـ سـاعـاتـ طـوـيـلـةـ مـنـ الـفـرـحـ وـالـاطـمـئـنـانـ، بـالـرـغـمـ مـنـ الـلـحـظـاتـ الـقـاسـيـةـ الـتـيـ استـخدـمـتـ فـيـهـاـ أـذـرـعـ زـعـرـانـ الـقـرـيـةـ الـعـرـبـيـةـ. الـقـصـةـ الـتـيـ أـوـدـ التـحـدـثـ عـنـهـ، حـصـلـتـ فـيـ بـدـاـيـةـ أـرـبـعـينـاتـ الـقـرـنـ المـاـضـيـ. حـتـىـ تـلـكـ الـزـيـارـةـ، كـنـتـ آمـلـ عـلـىـ مـدـىـ سـنـيـنـ، أـنـ أـعـوـدـ وـأـزـوـرـ قـبـرـ إـلـعـازـارـ، إـلـاـ أـنـ الـظـرـوفـ حـالـتـ دونـ ذـلـكـ. لـوـ لـتـكـ الـمـنـاسـبـةـ الـتـيـ طـالـتـنـيـ، لـكـانـ زـيـارـتـيـ لـلـمـاـكـانـ أـمـرـاـ مـشـكـوـكـاـ فـيـهـ وـمـؤـجـلـاـ لـأـعـوـامـ كـثـيرـةـ.

كـانـ ذـلـكـ عـنـدـمـاـ نـوـيـ حـسـنـيـ (يفـتـ) بـنـ إـبـرـاهـيمـ صـدـقـةـ، صـدـيقـيـ الـغـالـيـ رـحـمـهـ اللـهـ، أـنـ يـقـيمـ فـيـ الـمـاـكـانـ ثـلـاثـةـ أـفـرـاحـ لـثـلـاثـةـ أـبـنـائـهـ. فـرـحـ خـتـمـ التـورـةـ لـبـنـهـ الـوـحـيدـ صـدـقـةـ اـبـنـ السـتـ سـنـوـاتـ، وـفـرـحـ الـخـطـوبـةـ لـاثـتـيـنـ مـنـ بـنـاتـ الـجـمـيـلـاتـ. لـاـ شـكـ أـنـ ذـلـكـ كـانـ أـسـعـدـ يـوـمـ فـيـ حـيـاـتـ حـسـنـيـ، حـتـىـ ذـلـكـ الـوقـتـ. إـنـهـ رـجـلـ طـوـيـلـ الـقـامـةـ، عـرـيـضـ الـكـتـفـيـنـ، أـشـقـرـ الـشـعـرـ، مـنـتـصـبـ وـوـسـيـمـ وـلـاـ نـظـيرـ لـهـ. كـانـ السـامـرـيـ الـأـوـلـ الـذـيـ تـزـوـجـ مـنـ يـهـوـديـةـ، وـكـمـ تـعـلـمـ لـمـ يـنـظـرـ السـامـرـيـوـنـ إـلـىـ ذـلـكـ بـعـنـ الرـضـاـ قـطـ، بـلـ بـالـعـكـسـ. لـمـ يـرـضـوـنـ عـنـهـ إـلـىـ أـنـ أـنـجـبـتـ زـوـجـتـهـ مـرـيمـ سـتـ بـنـاتـ وـبـعـثـتـ الـأـمـلـ فـيـ قـلـوبـ الـعـرـبـ السـامـرـيـنـ، الـذـينـ خـابـ أـمـلـهـمـ فـيـ الزـوـاجـ يـوـمـاـ مـاـ قـبـلـ ذـلـكـ.

وقفـ عـنـدـ بـوـابـةـ مـوـقـعـ الـقـبـرـ وـأـحـاطـ بـهـ زـوـجـتـهـ، اـبـنـهـ وـبـنـاتـهـ السـتـ الـجـمـيـلـاتـ الـجـذـابـاتـ. اـبـتـسـمـ لـكـلـ الـقـادـمـينـ، كـهـنـةـ وـشـيوـخـ وـشـيـابـ وـنـسـاءـ وـأـطـفـالـ، وـصـلـلـوـ بـسـيـارـاتـ اـسـتـأـجـرـهـاـ حـسـنـيـ بـمـالـهـ. كـانـ مـوـسـرـاـ وـاعـتـاشـ جـيـداـ مـنـ عـمـلـهـ فـيـ الـمـسـلـاخـ فـيـ يـافـاـ.

أـظـنـ أـنـ جـمـيـعـ سـامـرـيـيـ نـابـلـسـ تـقـرـيـبـاـ قـدـ حـضـرـوـنـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ إـلـىـ عـورـتـاـ. وـكـذـلـكـ قـدـمـ السـامـرـيـوـنـ الـقـلـائـلـ الـذـينـ سـكـنـوـنـ فـيـ يـافـاـ. لـاـ رـيـبـ أـنـ لـاـ أـحـدـ أـرـادـ أـنـ يـفـوتـ فـرـحـاـ مـثـلـاـ كـهـذاـ يـقـيمـ حـسـنـيـ السـخـيـ، وـخـصـوصـاـ فـيـ مـكـانـ جـذـابـ إـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ، مـثـلـ مـكـانـ قـبـرـ إـلـعـازـارـ بـنـ أـهـرـونـ فـيـ عـورـتـاـ. نـحـرـتـ الـخـرافـ وـمـلـحتـ. أـعـدـتـ الـلـوـانـ كـثـيرـةـ مـنـ الـطـعـامـ، شـتـىـ الـسـلـطـاتـ، النـبـيـذـ وـالـعـرـقـ بـوـفـرـةـ. فـرـحـ حـقـيقـيـ حـقـاـ خـيـمـ عـلـىـ الـمـاـكـانـ. آآآآخـ! أـيـنـ هـيـ تـلـكـ الـأـيـامـ الـحـلوـةـ؟ـ أـصـوـاتـ الـفـرـحـ وـالـمـرـ، ضـحـكـاتـ النـسـوـةـ، وـصـيـاحـ الـفـتـيـةـ اـسـتـدـعـتـ فـتـيـانـ قـرـيـةـ عـورـتـاـ وـشـيـابـهـ الـعـنـيفـ. تـجـمـهـرـوـنـ بـعـشـراتـهـمـ عـلـىـ أـسـوـارـ مـوـقـعـ الـقـبـرـ، أـخـذـوـنـ يـحـدـقـوـنـ بـالـنـسـاءـ الـجـمـيـلـاتـ وـخـصـوصـاـ أـلـلـئـكـ الـيـافـوـيـاتـ. أـخـذـوـنـ بـالـغـمـزـ الـبـشـعـ نـحـوـنـ، وـلـمـ يـنـقـطـعـوـنـ عـنـ مـضـايـقـهـنـ وـاسـتـقـرـازـهـنـ.

أخذ الجوّ بالتكهرب لحدّ إمكانية إلحاق الأدّى بنا جميّعاً بعرار الأيدي. في تلك الأيام، عملت مراسلاً للصحف العبرية في نابلس وساعي الصحيفة الإنكليزية Palestine Post واليوم Jerusalem Post. علمت أنّه إن لم أقم بشيء ما فلنّا سنهلك. دعوت أحد الضيوف النابلسيين، بدون أن يلاحظ ذلك أحد، وسلمته رسالة قصيرة ليوصلها على جناح السرعة إلى مكتب الشرطة في نابلس. استجاب ذلك النابلي على الفور، ودع المضييفين، استقلّ سيّارته وسافر إلى نابلس. كتب للكولونييل پشچيرالد (Picherald) مدير الشرطة البريطانية:

عزيزِي الكولونييل پشچيرالد،  
نحن في خطر كبير، إن لم تنقذ حالاً الطائفة السامرية المسكينة، فسيقتلنا أهالي عورتا.  
يعقوب بن عزيز  
فلسطين بوست.

ربطتني علاقة صداقة وطيدة مع الكولونييل پشچيرالد الذي أحبّ السامريين كثيراً، وكنت واثقاً من وصول المساعدة حالاً في حال تسليمي البطاقة.

### الإنقاذ

لقد نجحت المحاولة، بعد وقت قصير، رأيناها من أصعب الأوقات بالنسبة لنا كلّنا، كلّ الحضور، لأنّ قبضيات القرية بدأوا بضرب شبابنا. سمعت جيداً أصوات سيّارات جيب الشرطة البريطانية المسرعة في أعلى التلة، وعندما هرب عرب عورتا إلى قريتهم، الكولونييل پشچيرالد كان قد أرسل وحدة شرطية لتتمركز في داخل القرية. وهكذا اعتقلت الشرطة كلّ الهاربين وأعادتهم إلى مكان القبر.

”من ضرب السامريين يعقل في نابلس، أما الآخرون فعلهم جمع الحطب ونشل الماء لجميع المشترين في الفرح طالما السامريون متواجدون هناك“، هذا كان أمر الكولونييل پشچيرالد لشيوخ ومختار قرية عورتا، الذين أحضروا إلى المكان.

طلبتُ من الكولونييل أن يسرّح أهل القرية، لأنّنا نغفر لهم أعمالهم المتهورة المتسرّعة. استجاب الكولونييل، ولكنه أصرّ على أن يقوم عشرة من أهالي القرية بخدمتنا كحطّابين وسقّائين، مثل الجبعونيين في عهد يوشع بن نون. [أنظر سفر يشوع بن نون الإصلاح العاشر].“